١٣ ـ الحديث الثالث عشر .
«حب الناس من الايمان»

«عن انس بن مالك (رضي) قال: قال ﷺ: « لا يؤمن احدكم حتى يُحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»رواه البخاري ومسلم.

٢ ـ مكانة الحديث وميزته

١ ـ **ابو دواد رحمه الله عدّه من جملة الاحاديث الاربعة التي تكفي الانسان لدينه**[١].

٢ ـ **هذا الحديث يشكل أوثق وأدوم وأقوم قاعدة للسلوك الاجتماعي**، والعلاقات العامة، ولا أبالغ إذا قلت: لو لم يعمل الناس إلا بهذا الحديث لكان كافياً ان يخلق منهم أسرة واحدة، ومجتمعاً انسانياً كريماً، متعاوناً، متضامناً، يسعى فيه كل فرد لمصلحة الجماعة.

وفي تقديري: ان امثل ما حلم به رجالات الاصلاح وفلاسفة الاجتماع البشري في جميع العصور: من مناهج، ونظم، وفلسفات. لا يخرج في جملته عن مضمون هذا الحديث، فالحديث مثلاً يصلح ان يكون خلاصة لرسالة عيسى(ع) في المحبة[٢]، كما يصلح ان يكون خلاصة لنصف الاسلام، فالاسلام، شطره لله تعالى، وشطره للانسان، والحديث يمثل كل التشريعات

---

(١) جامع العلوم ج١ ص ١٣.

(٢) يبني الفيلسوف الالماني كانت نظريته الاخلاقية على اساس آية من انجيل متى، تلتقي مع الحديث، وهي: افعل بنفسك ما تريد أن يفعله الناس لك»، ولقد صاغ قانونه الاخلاقي في العبارة التالية: تصرف في امورك بصورة يكون معها مبدأ ارادتك مساوياً في الوقت نفسه لمبدأ التشريع العام/ نقلاً عن مجلة حضارة الاسلام، من مقال «اخلاق القرآن» د. محمد عبد الله دراز/ ص ١٥/ عدد ٥/ السنة ٨/ ١٩٦٧م.

الخاصة بالانسان، ونظرية العقد الاجتماعي الفرنسية، هي ترجمة لروح هذا الحديث، بل لقد قرأت في بعض الكتب: ان الشيوعية، في أكمل مظاهرها لا تزيد على أكثر مما في هذا الحديث، وإليك ما ورد في ذلك؛ وهو من كلام الشيوعي: ق ـ اڤا ناسييف؛ في كتابه: اسس الفلسفة الماركسية:

ان الشيوعية تفترض انساناً جديداً يتناسق فيه الغنى الروحي، والنقاء الاخلاقي، والكمال الجسماني... وبالوصول الى الشيوعية سيتحقق الهدف السامي للحزب الشيوعي، وسيتحقق شعار الحزب: «كل شيء باسم الانسان ولخير الانسان».

هذا كلام قيل في الشيوعية واهدافها، ولست بصدد مناقشته مناقشة موضوعية لعدم اتساع المجال هنا، واكتفي بالقول بأن هذه الاحلام والتطلعات قد مضى عليها الآن حوالي سبعين سنة، ولا يكاد يوجد لها أثر في عالم الواقع، وفي اعتقادي أنها ستمنى بما منيت به مدينة أفلاطون، والمدينة الفاضلة، ونظرية العقد الاجتماعي، وغيرها من النظريات التي لا تستند إلى عقيدة موصولة بخالق الكون، أما نظرية الحديث النبوي، فقد طبقت في المدينة المنورة تطبيقاً كاملاً، بل لقد أربى التطبيق على النظرية والمبدأ، فلقد أعطى الأنصار من انفسهم وأموالهم ما يسمى بالايثار، وهو اسمى منزلة مما تطلع إليه الفلاسفة، من قبل ومن بعد.

ثم ان الشيوعية تصبو إلى هذا الهدف على حساب التضحية بأثمن وأسمى قيمة للانسان، مما يجعل الشعار الشيوعي المطروح سابقاً، شعاراً مرفوضاً وباطلا من اساسه لما فيه من التحكم في توجيه معنى الخير للانسان، فأي خير يبقى للانسان حينما يخسر اعظم ما صار به انساناً: دينه وكينونته المطلقة!!؟؟

ثم اننا نتساءل: كيف يمكن تحقيق هذا الهدف بوسائل تتناقض معه؟ فها هو لينين يعتبر الخلق الشيوعي خاضعاً لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي، اما في الاسلام، فالمبدأ والوسيلة والنتيجة كلها تسير في نفس الاتجاه، فالمبدأ: الله سيد الخلق جميعاً، وكلهم عباده، وكلهم خلقه: ولا فضل لأحد على أحد من هذا المنظور، واما الوسيلة فهي قرآن يهدي للتي هي أقوم، واما النتيجة فهي في بعض مراحلها ومظاهرها: ان يحب الانسان لاخيه ما يحب لنفسه، وعلى ذلك، فمن اعظم الافتراء على الله وعلى الحقيقة أن يقال: ان الشيوعية تمثل اعلى شكل

لتنظيم الحياة الاجتماعية. وانني أؤكد ان هذه التقريرات ما صدرت عن اصحابها إلا بسبب الجهل بحقيقة الاسلام من بين سائر الأديان، وأؤكد كذلك، ان دراسة الاسلام دراسة موضوعية مجردة غير متحيّزة. ولا محكومة باعتبارات سابقة وخلفيات ملزمة، سوف تحطم أو على الأقل تغير مسار التفكير عند فلاسفة الاصلاح، بل ومن حقي كمسلم أن أرجو وآمل بكل ثقة واعتزاز: أن العقل البشري لن يبقى أسير التحكمات العنصرية والاقليمية والفلسفية الضيقة، وسينتهي به المطاف إلى هذه الدراسة للاسلام، وبالتالي إلى هذه النتيجة التي بعدها يعود الدين كله لله كما كان[1].

* قال الامام ابو محمد بن أبي زيد امام المالكية بالمغرب في زمنه: جميع آداب الخير تتفرع من اربعة أحاديث، وذكر منها: حديث: لايؤمن احدكم...

٣ ـ بعض رواياته والفاظه :

* روى انه ﷺ قال لابي هريرة (رضي): «احبّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مؤمناً»
* وفي رواية: افضل الايمان: ان تحب لله وتبغض لله وتعمل لسانك في ذكر الله، قال «اي معاذ»: وماذا يارسول الله؟ قال: ان تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك... الخ الحديث».
* عن يزيد بن أسد القشيري، قال: قال لي رسول الله ﷺ: اتحب الجنة؟ قلت: نعم قال: فأحب لاخيك ما تحب لنفسك».
* وفي مسلم: « من احب ان يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي الى الناس الذي يحب أن يُؤتى إليه[2].
* «.... واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما» قطعة من حديث طويل في الترمذي[3].

---

(١) راجع كتاب: اسس الفلسفة الماركسية/ ترجمة عبد الرزاق الصافي/ الطبعة الثانية دار النهضة ـ بغداد ـ الفصل الحادي عشر: تحول الاشتراكية الى شيوعية ص ١٧٩ وما بعدها.

(٢) جامع العلوم/ الطبعة القديمة/ ص ١٠٣.

(٣) عن مجلة رابطة العالم الاسلامي/ العدد٦، السنة ٨، ١٣٩٠ هـ/ ص٣.

* عن انس (رضي)، قال: قال رسول الله ﷺ : لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه، أو قال: لجاره، ما يحب لنفسه، وفي رواية: والذي نفسي بيده، لا يؤمن عبد حتى يحب لجاره، او قال: لأخيه ما يحب لنفسه[1].
* وفي معناه حديث: (.... ولاتؤمنوا حتى تحابوا ... الخ الحديث»[2].
* وفي رواية لأحمد: من الخير ان تفعل بهم ما تحب ان يفعلوه معك، وتعاملهم بما تحب ان يعاملوك به .. الخ[3]، وبلفظ: لايبلغ عبد حقيقة الايمان حتى يحب للناس مايحب لنفسه من الخير[4].

٤ - شرح الحديث :

أ) البيان اللغوي:

* لايؤمن: لايكمل إيمانه إلا بذلك، والمقصود: المبالغة في تحصيل هذه الصفة، وليس المقصود انه لايكون إلا بذلك، ولا حتى: انه لايكمل إلا به. لانه ورد بنفس الصيغة، ولكن بذكر امور أخرى، مثل لا يؤمن احدكم: حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به.
* لأخيه: قيل اخوة الاسلام، وقيل: اخوة الانسانية، وعندئذ يشمل الكافر، وعندئذ يكون الحب له: ان يحب له الاسلام.
* ما يحب: مثل ما يحبّه لنفسه من الخير، كما جاء مصرحاً به في رواية، وقيل: من الاسلام، وقيل: من الطاعات والمباحات[5].

ب) المعنى الاجمالي:

اخبر النبي ﷺ: بأن محبة الخير للناس واجبة، وبخاصة محبة المسلمين، وان

---

(١) شرح مسلم/ مجلد١. ج٢ ص ١٦، ١٧.
(٢) الاذكار ص ٢١٦.
(٣) عن فيض القدير ج١ ص ٢١٨.
(٤) المسند لابن حنبل، وفي رواية:
«ترضى لهم ما ترضى لنفسك». وهي جزء من حديث قدسي/ عن الاتحافات ص٢٢/ الحديث ٢٥.
(٥) شرح مسلم مجلدا، ج٢ ص ١٧.

وجوبها ليس منّةً وتفضُّلاً منه ولا امراً مندوباً فيه فحسب، وانما هي من لوازم كمال الايمان والاسلام، قال ابن رجب: والمقصود: أن من جملة خصال الايمان الواجبة: ان يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه، فاذا زال ذلك عنه؛ فقد نقص ايمانه بذلك[1].

٥ ـ بعض ما يرشد اليه الحديث :

* هناك علاقة تبادلية بين الايمان (العقيدة) والسلوك؛ بمعنى: ان الايمان هو قاعدة السلوك وباعثه وموجهه، والسلوك بدوره مظهر للايمان وأمارة عليه ينصبغ بصبغته.
* محبة الناس من علامات الايمان ودلالاته القوية.
* الاسلام يحث على التضامن بين المسلمين، بل وبين الناس جميعاً، وليس التضامن المادي فقط، وانما التضامن الشعوري أيضاً، حيث يحزن المسلم بحزن أخيه، ويحب له ما يحب لنفسه.
* اذا كانت الانانية «او الأثرة»، من اخطر أدواء الحياة الاجتماعية والانسانية؛ فان الاسلام قد وصف ووضع الوسائل الكفيلة باستئصالها او اضعافها في النفس المؤمنة.
* يُستحب الدعاء للكافر بالهداية.
* في الحديث تنفير من الحسد وما إليه من أخلاق تنبثق من الانانية؛ إذ من الحسد ان يتمنى ان لا يلحق به غيره في المنزلة او الحظوظ.
* المسلم الصادق يحرص على ابعاد الاذى والضرر عن الآخرين، مثلما يعمل على ايصال الخير لهم.
* يشير الحديث، وما في معناه من النصوص إلى ان الايمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وان الناس يتفاوتون في ايمانهم واسلامهم، ليس بحسب درجة الاعتقاد فقط، بل بمقدار ما ينفع الناس ويهتم بهم الى جانب سلامة العقيدة.

---

(١) جامع العلوم ص ١٠٣.

* المسلم لا يرضى لنفسه بما هي عليه، وانما يسعى دوماً الى اصلاحها والتسامي بها الى درجات أعلى.

٦ ـ بعض تطبيقات الحديث :

* أثنى الله تعالى على الأنصار، فقال: ويؤثرون على أنفسهم، ولو كان بهم خصاصة. . .»[١]، حيث واسوهم وبذلوا لهم «اي واسوا المهاجرين»، وأشركوهم في المهنة، وكفوهم المؤونة، بل لقد ابدوا الاستعداد للتنازل عن أخصّ حظوظهم ومتعهم الدنيوية، وما ذلك إلا بما امتزج في قلوبهم من صدق الاعتقاد ومستلزماته السلوكية. .
* ومن عجيب ما روي في الايثار: انه عندما سقط في معركة اليرموك كل من عكرمة بن ابي جهل، وسهيل بن عمرو ، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى، فتدافعوه، حتى ماتوا، ولم يذوقوه، وذلك ان عكرمة أُتي بالماء، فنظر الى سهيل فرآه ينظر إليه، فقال للساقي: :ابدأ بهذا..فمر بهم خالد بن الوليد (رضي)، فقال: بنفسي أنتم[٢].
* قال محمد قطب: ورسول الاسلام يدرك بفطرته، وبما ادبه به ربه: ان الرحمة، والمودة، والاخاء، هي وحدها التي يمكن ان يقوم عليها البناء الحي القوي، فيدعو إلى الحب، ثم استشهد بالحديث. . الخ[٣].
* قال السدّى: لي ثلاثون سنة في الاستغفار عن قولي: الحمد لله؛ وذلك انه وقع ببغداد حريق، فاستقبلني رجل، فقال: نجا حانوتك، فقلت: الحمد لله، فمذ قلتها، وانا نادم؛ حيث اردت لنفسي خيراً دون المسلمين[٤].
* من قواعد الاشباه والنظائر: القاعدة الثالثة: الايثار في القُرَب مكروه، وفي غيرها محبوب؛ فلا ايثار بماء الطهارة مثلاً، ولا بستر العورة، ولا بالصف الاول؛ لان الغرض من العبادات: التعظيم، فمن آثر بالتعظيم فقد ترك اجلال الاله، إلى غير ذلك من الفروع[٥].

---

(١) سورة الحشر/ آية٩. (٢) جامع العلوم والحكم ص ٢١٤. (٣) قبسات من الرسول ص ١٢٨. (٤) فيض القدير ج١ ص ١٤٦. (٥) الاشباه ص ١٢٩.

* قال ابن عباس (رضي): إنيّ لأمرّ على الآية من كتاب الله، فأود أن الناس كلهم يعلمون منها ما أعلم[1].

* وقال الشافعي (رضي): وددت ان الناس تعلموا هذا العلم «الفقه»، ولم ينسب إليَّ منه شيء[1].

* كان عتبة الغلام اذا أراد ان يفطر، يقول لبعض إخوانه: اخرج إليّ ماء أو تمرات أفطر عليها، ليكون لك أجرٌ مثلُ اجري[2].

* وقال بعض الصالحين من السلف: اهل المحبة لله، نظروا بنور الله، وعطفوا على اهل المعاصي، مقتوا اعمالهم، وعطفوا عليهم، ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم[3].

* وقال الفضيل بن عياض في بيان قوله تعالى: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا. الآية[4]: لا يحب ان يكون نعله اجود من نعل غيره، ولا شراكه أجود من شراك غيره!![4].

* كما هو شأن النبي عليه الصلاة والسلام في السبق الى تطبيق ما يدعو إليه أمته، فقد روى عن ابي ذر رحمه الله»، انه قال: قال لي رسول الله ﷺ: يا ابا ذرّ إني اراك ضعيفاً، وإني احب لك ما أحب لنفسي: لا تتأمرنّ على أثنين.. الخ[5]، وقال مثل ذلك لعلي (رضي)، حين اوصاه: لا تقرأ القرآن وانت جنب، ولا وأنت راكع... الخ[6].

* استشهد بالحديث الدكتور فتحي الدريني، على بيان أهمية، الرابطة الايمانية، وكونها مصدر الاخوة المعتبرة، وما تقتضيه هذه الاخوة من حقوق اجتماعية ومبادىء مرعية، مثل: الاخلاص في المودة، والمسارعة الى اصلاح ذات البين عندما ينشأ ما يعكر صفوها، والمساواة في الحقوق والواجبات، ثم بيّن: انه ﷺ قد طبق هذه المبادىء عملياً في مجتمع المدينة المنورة، وبيّن: انها كانت من اعظم الوسائل الى توحيد كلمة العرب[7].

---

(١) جامع العلوم/ الطبعة القديمه/ ص ١٠٦. (٢) السابق ص ١٠٦.

(٣) السابق ص ١٠٥

(٤) من سورة القصص آية ٨٣. (٤) جامع العلوم ص ١٠٤. (٥) السابق ص ١٠٤.

(٦) السابق ص ١٠٤.

(٧) مجلة الحضارة/ العدد ١، السنة ٧، ١٩٦٦ ص ٧٧- ٨٠.

* وقال الدكتور محمد عبدالله درّاز: وهو يعرض نظرية(كانت)الاخلاقية، كما سبق: ويذهب الرسول ﷺ الى حد يجعل من هذا الحب في المساواة شرطاً اساسياً للايمان، ثم ذكر الحديث، ثم قال: ومن هذا الحكم العام على الانانية استنبط الضمير العام مبدأ الشمولية والمبادلة في الواجبات[1].

٧ ـ مناقشة عامة حول الحديث:

س١) هذا الحديث يعتبر من جوامع الكلم، وضح ذلك؟

جـ١) يمكن حصر رسالة الانسان في الارض، في كلمتين: الاستقامة على منهج الحق، والدعوة إليه، وكلاهما مما دعا إليه الحديث، وما من خير دعت إليه الشريعة، او اصطلح عليه الابرار إلا وهو شعبة من شعب هذا الحديث، ويمكن أن تعلل به جميع انواع السلوك المنحرف في المعاملات وسائر التصرفات، كالبيوع المحرمة لمافيها من الغرر والغش والظلم، والتصرفات القولية والعملية التي فيها ظلم وعدوان، ثم هو شامل للناحيتين، الايجابية والسلبية، فكما انه يحب لنفسه الخير باطلاق ويكره الشر باطلاق فيجب أن يحب ويكره للناس مثل ذلك.

س٢) ما الاحاديث التي يوجد بينها وبين هذا الحديث ارتباط في المعنى والمغزى؟

جـ٢) ١ـ حديث: الدين النصيحة، ولقد جاء ذلك مصرحاً به على لسان العلماء كما سبق، وقد قال الفضيل رحمه الله تعالى: ان كنت تحب ان يكون للناس مثلُك فما أديت النصيحة لربك، كيف وأنت تحب ان يكونوا دونك؟![2].

٢ ـ بحديث: من رأى منكراً...

٣ ـ وبالحديث (٣٦): من نفَّس عن مؤمن كربة...

٤ ـ وبحديث: لا ضرر ولاضرار...

---

(١) مجلة الحضارة/ العدد ٥/ السنة ٨/ ١٩٦٧/ ص ١٥.

(٢) الجامع ص ١٠٥.

٥ ـ وبحديث: «٣٥»: لا تحاسدوا. . . . المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله. . .

٦ ـ وبحديث (١٥): اكرام الضيف والجار، وقول الخير او الصمت. . .

٧ ـ وبحديث (١٤): لا يحلّ دم امرىء مسلم. . .

س٣) هل في الحديث نهي عن المنافسة؟ جـ٣) لا، بل المسلم مأمور ان ينافس في طلب الفضائل ما وسعه الجهد، ومع ذلك، يحب للناس كلهم المنافسة فيه، ويحثهم على ذلك، ويتبع ذلك: جواز تمني أن يكون له ما لغيره؛ فقد تمنى النبي ﷺ لنفسه منزلة، الشهادة، بل قد ورد ما يدل على انه لا يأثم من كره ان يفوقه أحد في الجمال، كما روي عن مالك بن مرارة الرهاوي مع رسول الله ﷺ، حين قال له: ان الله قد قسم لي من الجمال ما ترى ولا أحب احداً فضلني بشراكين فما فوقهما، اليس ذلك من البغي قال: لا، ولكن البغي: من بطر، أو سفه الحق وغمط الناس، وقد فسّر غمط الناس: بالنظر اليهم بعين النقص و الى نفسه بعين الكمال[1].

س٤) من روايات الحديث: رواية: واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلماً، وفي رواية: تكن مؤمناً. . ، ماذا تستنتج من ذلك جـ٤) ان الايمان والاسلام إذا انفرد كل منهما بالذكر دخل فيه الآخر.

س٥) الحديث أصل: للتضامن الاجتماعي، وضح ذلك.

س٦) بين وجه ارتباط الحديث، بحديث: الدين النصيحة.

س٧) ما نوع القصر في الحديث[2].

س٨) الحسود ناقص الايمان، استعن بهذا الحديث لايضاح ذلك؟

س٩) هل الغبطة مناقضة لمفهوم الحديث ؟

جـ٩) لا، فالغبطة ان تتمنى ان يكون لك مثل ما لغيرك من غير ان تتمنى زوال النعمة أو نقصها، ولا ان تتمنى التفوق عليه فيها؟

س١٠) وضح ما يمتاز به الحديث عن غيره.

---

(١) الجامع ص ١٠٤، ١٠٥؛ وفي فيض القدير: ان المطلوب هو ان يحب لغيره ما يحب حصول مثله له من جهة لا يزاحمه فيها أحد، ولا ينتقص شيئاً من نعمه، وذلك سهل على القلب السليم، رغم انطباع النفس على الانانية/ ج١/ ص ٢١٨. ـ والشراكان هما رباطا النعل.

(٢) ارجع الى القسم الثاني من الكتاب.